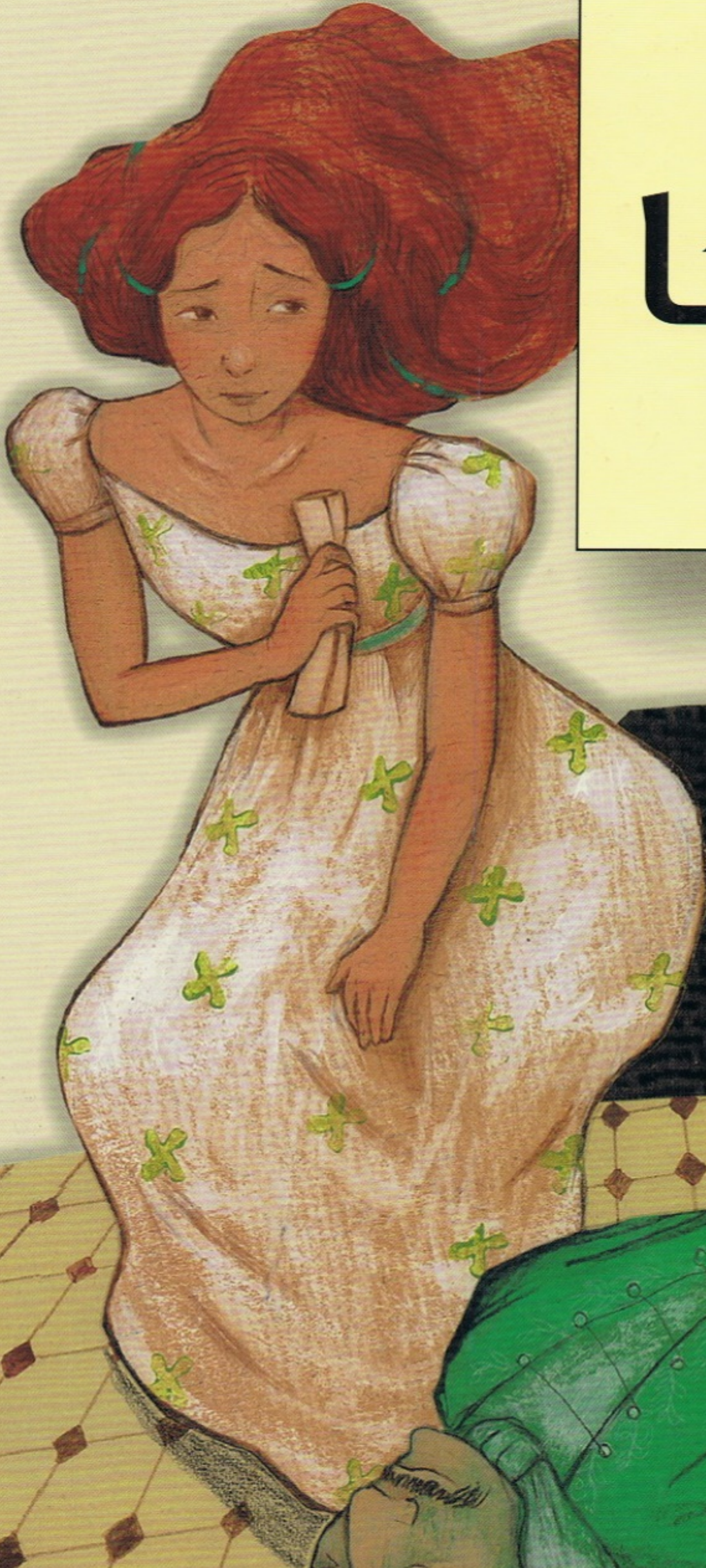
سلسلة الأوپرا
والمسرح العالمي

توسكا





تأليف: جاكومو بوتشيني
رسوم: كيم، جين هوا
ترجمة: Market Tech

الطبعة الأولى 2010 م




كلمة KALIMA
info@kalima.ae
www.kalima.ae
ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 468 6314 2 971+ ، فاكس: 462 6314 2 971+

معالم maalem
info@maalam.net
www.maalam.net
ص.ب: 62606 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 6222622 2 971 + فاكس: 6222112 2 971 +



دار المؤلف Dar Al-Moualef
بيروت – لبنان، هاتف: 823720 1 961 + info@daralmoualef.com

توسكا
قميص أول



سلسلة الأوبرا
والمسرح العالمي

توسكا





توسكا

تَسَلَّلَ سجينٌ ثيابُهُ رثّةٌ، إلى كنيسَةِ القدّيسَة أندريا وهو يتنفَّسُ بصعوبَةٍ. يُدعى هذا الرّجُلُ المذعورُ أنجيلوتي وقد فرَّ حديثاً من السّجن.

ـ «يُفترض أن يكونَ المكانُ آمناً هنا!».

تنفَّسَ أنجيلوتي الصّعداءَ بعدَ أن أقنَعَ نفسَهُ بأنّ أحداً لن يلحَقَ بِهِ. نظَرَ حولَهُ فرأى تمثالَ السيدة مريم العذراء وتوجَّهَ نحوَهُ.

ـ «قالَتْ أُختي إنّها ستُخبِّئُ المفتاحَ في مكانٍ ما هنا...».

وضَعَ يدَهُ تحتَ التمثالِ بحثاً عن المفتاحِ وأخيراً وجَدَ مفتاحَ منزِلِ أتّافنتي. كانَت السيِّدَة أتّافنتي وهي أُختُه الصغرى، قد أخفَتِ المفتاحَ هناك. التقَطَه بسرعَةٍ وأخفى نفسَه في غرفَةِ الصلاةِ المواجِهَة.

في هذه الأثناء، دخَلَ القيّمُ على الكنيسةِ، حاملاً الكثيرَ من فراشي الرّسمِ بأحجامٍ مختلِفَةٍ وتقدَّمَ من لوحِ الرَّسم المغطّى وهو يتكلّمُ بصوتٍ مرتفِعٍ:

ـ «جُلَّ ما أفعلُهُ كُلَّ يوم هو غسلُ هذه الفراشي. يا للهول، إنّها أكثرُ اتّساخاً من ثيابِ التنظيف! أليسَ ذلك صحيحاً سيّدي الفنّان؟».

نظَرَ من حولِهِ فلم يجِد أحداً. وضَعَ الفراشي أرضاً ونظَرَ داخِلَ عُلبَةِ الطعام.

ـ «ما زالَ الطعامُ كما هو، أفترِضُ أنَّهُ لم يَجُعْ بعد».



دُقَّ جَرَسُ صلاةِ المساء، فركَعَ القيِّمُ يصلّي. ثمّ وصَلَ الفنّانُ كافارادوسّي، فنظر إلى المُصلّي ونزَعَ الغطاءَ عن لوحَةِ الرسم. فظهرَتْ صورَةُ مريمَ المجدليَّة بشعرِها الأشقرِ وعينيها الكبيرتينِ الزرقاوين. كان الشابُ قد أنهى صلاتَهُ للتوِّ فاقترَبَ من الفنّانِ وقالَ:

ـ «تبدو هذه كالمرأةِ التي تأتي للصلاةِ دائماً».

ـ «أنتَ محقٌّ، لقد رسَمتُ وجهَها الجميلَ وهي تُصلّي بخشوعٍ. بالتأكيد أنّها لم تكُن تعلَمُ أنّني أرسُمُها».

قالَ ذلكَ بفرَحٍ وتناولَ فرشاةً ليرسُم. وقبلَ أن يذهبَ، نظرَ الشابُ إلى اللَوحَةِ وقالَ متوجِّهاً نحو البابِ الخلفيِّ:

ـ «سأذهَبُ الآنَ، أنتَ لم تأكُلْ غداءَكَ بعدُ، ألَسْتَ جائعاً؟».

ـ «لا أشعُرُ بالجوعِ الآنَ، سآكُلُ في ما بعد».

بعدَ أن رحَلَ الشابُ، ركّزَ كافارادوسّي على اللوحةِ إلى أن سمِعَ ضجَّةً في غُرفَةِ الصلاةِ.

ـ «أيوجَدُ أحدٌ هناك؟».

والتفَتَ كافارادوسّي مصدوماً عندما رأى أنجيلوتي يحاوِلُ التسلُّلَ من الغرفَة. لم يستطِعْ أحدٌ منهما التكلّمَ وحدّقا ببعضِهما لفترةٍ من الوقت، لكنَّ أنجيلوتي بدأ الكلامَ أوّلاً:

ـ «أنتَ... كافارادوسّي؟ بلى، هذا أنتَ، أليسَ كذلكَ؟ هذا أنا، ألا تذكُرني؟!».

نظَرَ إليهِ كافارادوسّي لبُرهَةٍ بتعَجُّب، ثُمّ أدركَ أنّهُ صديقُهُ أنجيلوتّي. فابتَهَجَ لرؤيتِهِ ومدَّ يدَهُ ليصافحَهُ:

ـ «يا إلهي! هذا أنتَ، صديقي أنجيلوتّي! كيفَ يمكنُ لي أن أنساكَ، قنصلَ جمهوريّةِ روما! ولكنْ،...».

توقَّفَ كافارادوسّي عن الكلامِ وأسرَعَ نحو البابِ وأقفلَهُ، ثمّ ألقى نظرَةً على ملابسِ أنجيلوتي الرثّة، وأكملَ:

ـ «يبدو أنَّكَ بحاجةٍ إلى مساعدَتي. اُطلب منّي ما تريد وأنا سأساعدُكَ مهما كانَ الأمر».

تأثَّرَ أنجيلوتّي بترحيبِ صديقِهِ القديم، فقالَ بصوتٍ مرتجِفٍ:

ـ «لقد فرَرْتُ للتوِّ من السِّجنِ، أرجوكَ ساعدني...».

في هذه اللحظة، سمعا صوتاً أُنثويّاً في الخارج. كانَ ذلك صوتُ توسكا، حبيبَةَ كافارادوسّي ومغنّيةَ الأوبرا الأولى.

ـ «لا داعي للذُعرِ، إنّها توسكا تبحثُ عنّي. يا لتوقيتِها السيّئ! من الأفضَلِ لك أن تختَبئ».

وبسرعة، أعطى كافارادوسّي علبَةَ غدائه لأنجيلوتي ودفَعَهُ مجدّداً إلى غُرفَةِ الصلاة.

- كافارادوسّي.

عندما نادتهُ توسكا للمرَّةِ الثانيَة، فتَحَ البابَ ورحَّبَ بها كأنَّ شيئاً لم يكُن. وما إن دَخلَتْ إلى الكنيسة، حتّى أخذت تنظُرُ متوتِّرةً يميناً ويساراً وبدأ الشكُّ على وجهِها:

- «لِمَ أقفَلتَ البابَ؟ كان أحدٌ ما هنا. لقد سمعتُ همساً».

حاوَلَ كافارادوسّي تهدئتَها، فقالَ لها بلُطف:

- «لا أحدَ هنا، بالتأكيدِ سمعتِ صوتاً آخرَ، تعالَي إليَّ يا حبيبتي».

مدَّ كافارادوسّي يدَهُ لها مبتسِماً فشَعَرَتْ بالارتياحِ واستسلَمَتْ في أحضانِ كافارادوسّي.

- «لن أُغنّيَ الليلَةَ في الحَفلَةِ لوقتٍ طويل. ما رأيُكَ لو ذهبنا مباشَرَةً بعدئذٍ إلى فيلّتِك؟».

لم يُجِبْ كافارادوسّي على الفور، لأنّهُ كانَ يُفكِّرُ في طريقَةٍ لمساعدَةِ أنجيلوتّي. أمّا توسكا التي لا تَعرِفُ شيئاً عن الموضوع، فأخَذَت تضغَطُ عليهِ ليجيب:

- «لا يبدو أنّكَ تشعرُ بشيءِ البتَّة. ألا تشتاقُ إلى مكانٍ حميم؟ النجومُ المتلألئةُ في الليل والغاباتُ الكثيفَةُ الخضراءُ وظلُّ أشجارِ البلّوط والنسيمُ الناعِمُ كلّها تهمسُ لنا بالحُبّ... مجَرَّدُ التفكيرِ في هذه الأمورِ يجعلُني سعيدةً. أرجوكَ قُل نعَم، أرجوك».

نظَرَ كافارادوسّي إلى وجهِها الرّائِع وأجابَها أخيراً مبتسماً:

- «نعم توسكا، سأذهَبُ معَك».

ثمّ التَفَتَ إلى غرفَةِ الصلاة حيثُ يختبئُ أنجيلوتّي وتابَع:

- «حسناً يجِبُ أن أعودَ للعمَل. لديَّ أمرٌ طارئٌ عليَّ إنهاؤُه».



ـ «أتحاولُ طردي؟ حسناً سأذهَبُ الآن».

همَّتْ بالخروجِ عابِسَةً، لكنَّها عادَتْ إلى كافارادوسّي منزَعِجَةً من اللّوحَةِ التي كان يرسُمُها.

ـ «من هذه الشقراءُ الجميلَة؟».

ـ «إنّها من أسلافِ مريمَ المجدليّة، أتُعجِبُك؟».

ـ «إنّها جميلَة! ولكن، لسببٍ ما، تبدو لي هاتان العينان الزرقاوان مألوفتين...».

ـ «العيونُ الزرقاء كثيرةٌ جداً...».

تأمّلَتْ توسكا للحظة اللوحةَ، وصرخت فجأةً:

ـ «الآن تذكّرت! إنّها السيّدة أتّافنتي!».

هزَّ كافارادوسّي رأسَهُ مبتسِماً بينما اعترَت توسكا نوبَةُ غيرَةٍ وغضبٍ فصرَخَتْ بوجهِ كافارادوسّي:

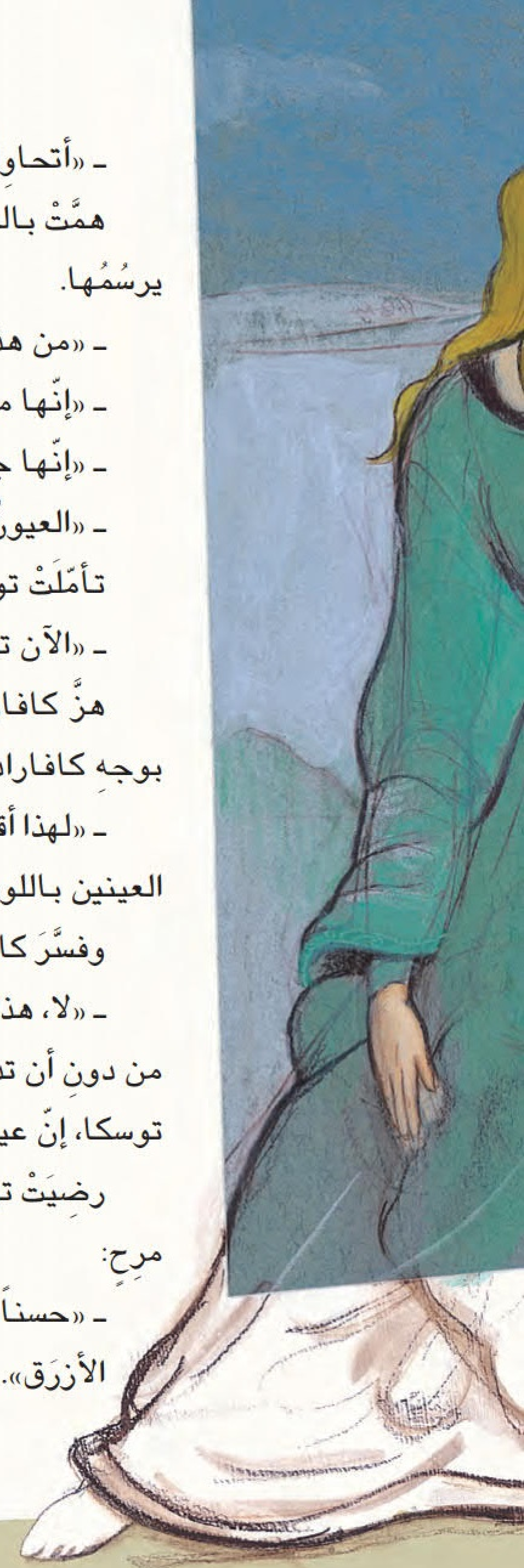
ـ «لهذا أقفلتَ الباب! كنتَ معها منذ لحظاتٍ، أليسَ كذلِك؟ أنتَ مُغرَمٌ بها. لهذا رسَمتَ العينين باللونِ الأزرَقِ بدلَ الأسود، أليسَ كذلك؟».

وفسَّرَ كافارادوسّي السّببَ محاولاً تهدئَةَ توسكا:

ـ «لا، هذا ليسَ صحيحاً، بدَتْ لي تقيَّةً جداً وهي تأتي كلَّ يوم لتصلّي. لذلِكَ رسَمتُها من دونِ أن تدري. لا يُمكنُني مقارنةُ أيِّ عيونٍ بعينيكِ السوداوينِ المفعَمَتين بالعواطِف. توسكا، إنّ عينيكِ هما الأجمل على الإطلاق».

رضِيَتْ توسكا من إجابَةِ كارافادوسّي الصادِقَةِ ومشَتْ نحو البابِ وهي تقولُ بشكلٍ مرِحٍ:

ـ «حسناً سأقبلُ بذلك، لكنَّكَ إن كُنتَ فِعلاً تُحِبُّني، أعد طلاءَ العينينِ بالأسود بدلَ الأزرَق».





وما إن اختفى صوتُ خطواتِ توسكا، حتى فَتَحَ كافارادوسّي بابَ غُرفةِ الصلاةِ بسرعةٍ وأخرَجَ أنجيلوتّي.

ـ «ماذا ستفعَلُ من الآن فصاعداً؟».

ـ «لا أعتقدُ أنّهُ سيكونُ من السهلِ عبورُ الحدود... أظُنُّ أنّني سأختبئُ في منزلِ أُختي».

ـ «تعني السيّدة أتّافنتي».

ـ «نعم، لديَّ بعضُ الثيابِ النسائيّةِ والمراوِح. سأتنكّرُ بها الآن، لقد قامت أُختي بالكثيرِ من أجلي».

وعَرَضَ لكافارادوسّي الملابِسَ والمراوِحَ التي أخفَتها أختُهُ له. فرأى هذا الأخيرُ أنّه من اللطفِ أن تأتيَ السيّدةُ أتّافنتي كلّ يوم للصلاةِ وتحضيرِ الملابِسِ لأخيها.

ـ «لا تقلَقْ كثيراً أنجيلوتّي. سأساعدُكَ بالتأكيد لتهرُبَ بسلامٍ».

وصافَحَ كافارادوسّي يدَ أنجيلوتّي بحزمٍ وإصرار:

ـ «لنذهَب أوّلاً إلى فيلّتي وإن حدَثَ أيُّ شيءٍ خطرٍ، إختبئ في البئرِ في الحديقةِ. سيكونُ ذلك المخبأَ الأمثلَ لك».

وما إن أنهى كافارادوسّي كلامَهُ، حتّى دوّى صوتُ المدفَعِ يعلِنُ عن اكتشافِ هروبِ أنجيلوتّي.

ـ «يبدو أنّهم عرفوا أنّكَ هربتَ من السجن. وسيأتون عاجلاً أم آجلاً للنَّيلِ منكَ، فلنذهب».

خرجا من الكنيسةِ وركضا إلى الفيلاّ. وبعدَ فترةٍ، دخَلَ القيّمُ إلى الكنيسةِ الفارغَةِ يتبَعُهُ الكهنَةُ والإخوةُ والأخواتُ وزَفَّ لهم الخبرَ السعيدَ:

ـ «لقد انتصرنا على نابوليون! المجدُ لله، ليعِشِ الملِك!».

ورَدَّدَ الشعبُ الفرِحُ بهذا الخبرِ من بعدِه:

ـ «المجدُ لله، يعيش الملِك!».



وفي هذا الوقت، دَخَلَ سكاربيا، رئيسُ الشرطَة، إلى الكنيسَة. فتلاشت عندَ ظهورِه المفاجئِ الحماسةُ كلُّها بالنصر. نظَرَ حولَهُ مرتاباً ولَمَحَ القيّمَ على الكنيسة فقالَ له:

ـ «منذ ساعة، هرَبَ سجينٌ ارتكَبَ جريمةً فظيعةً. يُفترض أنّه أتى إلى هنا لأنّه المكانُ الأنسَبُ للاختباء. قُلْ لي بالتحديد ماذا تعرفُ وإيّاكَ أن تكذب لأنّكَ لا تدري ما سأفعَلُ بك عندئذ، مفهوم؟»،

وسألَ القيّمَ الذي كان يرتجِفُ خوفاً أن يَدُلَّهُ على غرفَة الصلاة. هناكَ وَجَدَ سكاربيا مروحةً وعلبَةَ غداءٍ فارغةٍ، نسيَ أنجيلوتّي أن يأخُذها معه. ابتَسَمَ سكاربيا وقالَ:

ـ «تحمل هذه المروحة... شارَةَ عائلَة أتّافنتي».

خرَجَ من الغُرفَة حاملاً المروحَةَ فوقَعَتْ عيناهُ على صورَة مريمَ المجدلية.

ـ «هذه اللوحةُ هي... رأيتُها من قبلُ... نعم هذا صحيح. تشبهُ السيّدَةُ أتّافنتي كثيراً، من رَسَمَها؟»،

ـ «السيّد كا... كافارادوسّي...»،

في تلكَ اللحظة، لاحَظَ القيّمُ علبَةَ الغداء.

ـ «آه، هذا غريبٌ، كانَ الأكلُ لا يزالُ هنا منذ دقيقةٍ».

عقدَ سكاربيا حاجبيه تعجّباً وقالَ في نفسه:

ـ «آه حسناً، يبدو واضِحاً جدًّا الآن أنّ كافارادوسّي ساعَدَ أنجيلوتّي».



ـ «كافارادوسّي! كافارادوسّي!».

كانَت تلكَ توسكا تبحثُ عن كافارادوسّي، لدى سماعِ صوتِها، اختبأ سكاربيا العابِس.

ـ «كافارادوسّي!».

نادَتهُ مجدّداً بصوتٍ مرتفعٍ فيما دَخَلَت الغرفَةَ، لكنَّها لم تجِده. فاقترَبَ منها الشابُ وقالَ لها خائفاً قبل أن يترُكَها:

ـ «ليسَ هنا. لقد اختفى كالسّحر».

ـ «هل خانَني؟ لا، هذا لا يُعقَل».

شَعَرَتْ توسكا بالكآبَةِ، وازدادَ شكُّها بسببِ اللوحَةِ التي كانَ كافارادوسّي يعمَلُ عليها.

ـ «ربّما يُحِبُّ فعلاً السيّدة أتّافنتي...».

راقَبَ سكاربيا قلَقَ توسكا فخرَجَ من مخبئِه، واقترَبَ منها.

ـ «لا تحزني يا توسكا».

نظرَ سكاربيا بإمعانٍ إلى وجهِها وأراها متلهِّفاً المروحةَ التي تركها أنجيلوتّي:

ـ «نسيَها أحدٌ ما هنا. ربّما كان ذلك عربونَ حبٍّ».

عندما رأتْ توسكا المروحةَ تأكَّدَتْ شكوكُها:

ـ «يا للهول! هذا شِعارُ عائلة أتّافنتي!».

أحسَّتْ توسكا بالخيانَةِ بما أنّها لم تشُكَّ يوماً بحُبِّ كافارادوسّي لها. وبعد أن لَعَنَت اللوحةَ، أسرعَتْ تبحَثُ عن كافارادوسّي. نظرَ سكاربيا إليها وهي تختفي ثم أمرَ جنودَهُ باللحاقِ بها وعلَتْ وجهَهُ ابتسامةٌ غريبةٌ:

ـ «توسكا ستحبّينَني أنا الآنَ. هاهاها...».

كان سكاربيا معجباً بتوسكا وكان يعمَلُ على خطَّتِهِ ليريَها خيانةَ حبيبِها ويجعلَها تحبّه.

عادَ سكاربيا إلى غرفتِه في الطابقِ الثاني من بالاتزو فارنيزي وكَتَبَ رسالةً إلى توسكا يقترِحُ فيها أن تأتيَ لزيارتِه. ثمّ نادى خادِمَهُ وقالَ له:

ـ «أعطِ هذه الرسالةَ إلى توسكا فورَ انتهاءِ أدائِها».

كانت تُقامُ حفلةٌ ضخمةٌ للاحتفالِ بالنّصرِ، ومن ثمّ يُفترضُ بها أن تُغنّي على المسرَح. بعدَ فترةٍ، دَخلَ الجنديُّ الذي لحقَ بتوسكا.

ـ «ماذا حدثَ؟».

ـ «لحِقتُ بها إلى فيلاً داخلَ الغاباتِ، اضطررنا إلى القفزِ فوقَ الجدارِ للّحاقِ بها».

ـ «حسناً فعلتُم! إذاً يُفترض أن تكونوا قد قبضتُم على أنجيلوتّي؟».

ـ «حسناً، ... بحثنا في كلِّ مكانٍ لكنَّنا لم نستطِعْ إيجادَه».

«أنتم ماذا؟ أضعتموهُ مجدداً؟».

أزعَجَ هذا الخبرُ سكاربيا كثيراً، فضربَ على طاولةِ المكتَبِ بيدِه.

ـ «لكنَّنا وجدنا كافارادوسّي هناكَ وأوقفناهُ لأنّ تصرُّفَهُ كانَ مريباً».

خفَّ غَضَبُ سكاربيا قليلاً وطَلَبَ منهم أن يجلبوا له كافارادوسّي.

ـ «تجرّأتَ وساعَدتَ أنجيلوتّي على الهربِ، ستدفَعُ ثمنَ هذا».

ودَخَلَ كافارادوسّي يصيحُ غضباً:

ـ «لِمَ تفعَلُ هذا بي؟ لماذا تعتَقِلُ إنساناً بريئاً؟».

ـ «تفضَّل أوّلاً بالجلوس».

وبعدَ أن جَلَسَ، بدأ سكاربيا استجوابَه.

ـ «لقد فرَّ سجينٌ اليومَ من السجن. أفترِضُ أنّكَ على علمٍ بالموضوعِ، أليسَ كذلِك؟».

ـ «ليسَ لديَّ أدنى فكرَةٍ عمّا تقولُه».

ـ «أعلَمُ أنّكَ أطعَمتَ السجينَ الفارَّ وأخذتَه إلى فيلّتك. قل لي الحقيقة!».

ـ «قُلتُ لكَ إنّني لا أعرِفُ شيئاً».

ـ «أنتَ عنيدٌ، قُلْ لي أينَ أخفيتَ أنجيلوتّي!».

فقَدَ سكاربيا هدوءَهُ وهو يستجوبُ كافارادوسّي، وفجأةً دَخَلَتْ توسكا.

ـ «كافارادوسّي! كيف يُعقَلُ أنّكَ هنا؟».

واقترَبَتْ منهُ وعانَقَتهُ. استَغَلَّ كافارادوسّي اللحظةَ، وهمَسَ في أذنِها:

ـ «لا تُخبري أحداً عمّا رأيتِهِ مطلقاً!».



أَمَرَ سكاربيا أن يأخذَ الرجالُ كافارادوسّي إلى غرفَةِ التعذيبِ وقالَ لتوسكا بلطفٍ:

ـ «لا تخافي، دعينا نتحدّث كالأصدقاء».

ـ «لستُ خائفةً على الإطلاق!».

ـ «أَلَم يكُنِ السّجينُ الفارّ في الفيلاّ؟».

ـ «لا، كان كافارادوسّي بمفردِه!».

ـ «حقّاً؟ أنتِ أيضاً... حسناً، لن أرحَمَ أحداً».

وعلى أثَرِ جوابِ توسكا هذا، عادَ وجهُ سكاربيا عبوساً وصرَخَ لجنودِهِ بأن يعذّبوا كافارادوسّي أكثر. فسُمِعَ صوتُ هذا الأخيرِ في غُرفَةِ التّعذيبِ يصرُخُ ألماً.

ـ «آه أرجوكَ أوقفِ التعذيبَ، أرجوك».

ـ «سأطلِقُ سراحَهُ إذا أخبرتِني الحقيقَةَ. هيّا قولي لي!».

ـ «أنتَ متوحِّشٌ، لكنَّني لا أعرِفُ شيئاً».

وتابَعَ سكاربيا استجوابَه تارَةً بلطفٍ وطوراً بعنفٍ، وكأنّه يستمتِعُ بالاستجواب.

ـ «توسكا، ما زلتِ لم تقولي لي الحقيقةَ بعد، لكنَّني أعلَمُ أنَّكِ لن تحتملي ما سأفعَلُهُ بعد بمزيدٍ من القساوة».

وفور أمرِ سكاربيا، سُمِعَ صراخٌ مروّعٌ. لم تحتملْ توسكا سماعَ صراخِ حبيبِها، فقالَت بصوتٍ خافِت:

ـ «إنّهُ في بئرِ الفيلاّ».





- «حسناً إذاً، إنّه هناك، أوقفوا التعذيب!».

أوقفَ سكاربيا التّعذيبَ مسروراً بالخبرِ الذي حصلَ عليه. وجَلَبوا كافارادوسّي إلى الغرفةِ يتصبّب عرَقاً ودماً، لكنّه سرعانَ ما سألَ قلقاً توسكا التي اغرورقت عيناها بالدّموع:

- «لم تقولي لهم الحقيقةَ، أليسَ كذلِك؟».

فقالَ سكاربيا بصوت عالٍ:

- «أنجيلوتّي يختبئُ في البئرِ، اذهبوا واجلبوه لي على الفور».

- «توسكا لقد خُنتِني...».

- «كافارادوسّي ليسَ... أنا لم...».

لم تعرفْ توسكا ما العمَل. وفجأةً، اقتحَمَ أحدُ جنودِ سكاربيا الغرفَةَ وقال:

- «هزَمَ نابوليون جنودَنا بالكاملِ في مارينغو».

- «ماذا؟ خسرنا؟».

شحبَ لونُ وجهِ سكاربيا جرّاءَ الصدمة. لكنَّ كافارادوسّي الذي كان يساندُ نابوليون تحمَّسَ جدّاً، فضحِكَ من سكاربيا وقال:

- «يعيش! أيُّها القاتلُ سكاربيا! أنتَ رجُلٌ ميْتٌ الآن».

اغتاظَ سكاربيا من كافارادوسّي:

- يا أيّها...سأقتُلُك. أيُّها الجنودُ ضعوا هذا المجرمَ في السجنِ. سنعدُمُهُ قريباً جداً!».

- لا، لا أرجوكَ لا تأخُذْهُ بعيداً!».

صرَخَتْ توسكا وتوسّلَتْ، ولكن، من دونِ جدوى. في النهايةِ، زُجَّ بكافارادوسّي في السجنِ ليُعدَم، تاركاً توسكا وراءه.



- «رجاءً، أطلقْ سراحَه. رجاءً».

ابتَسَمَ سكاربيا الذي كانَ عابساً بوجهِ كافارادوسّي وتوجَّهَ إلى توسكا قائلاً:

- «أيمكنني ذلك؟ حسناً، أتظنّينَ أنّه بإمكاني القيام بذلك؟ توسكا أرجوكِ اهدئي ولنفكّر في الموضوع».

- «كم تريدُ مقابلَ إخراجِه من السجن؟».

ضحِكَ سكاربيا وفي النهايةِ كشَفَ لها ما يُريدُ.

- «لا أريدُ شيئاً سواكِ توسكا».

- «لا تكُنْ سخيفاً! أنا أحِبُّ كافارادوسّي ولا أحَدَ سواه».

كانت توسكا تصرُخُ بغضَبٍ، لكنَّ سكاربيا ظلَّ صبوراً.

- «لن أجبرَكِ، افعلي ما يحلو لك. ولكنْ، أرجو ألاّ تنسَي أنّ الشخصَ الوحيدَ الذي يستطيعُ أن يُنقذَ كافارادوسّي هو أنا، سكاربيا!».

- «أنتَ شرّيرٌ، سيلعنُكَ الله!».

- «هل دعيتِني شرّيراً؟ هذا ممكن، لكنَّكِ لن تهربي منّي أبداً، هاهاها!».

حدَّقَتْ توسكا به بغضبٍ، لكِنَّ سكاربيا تجاهَلَها وضَحِكَ بلؤمٍ. وحينَ اقتربَ منها، تراجَعَتْ ودفعَتْهُ بعيداً:

- «لا تقتربْ منّي أيُّها اللئيمُ الحقيرُ الوقح!».

وفي هذه اللحظة، في الخارِجِ، سُمِعَ صوتُ قرعِ الطبول. فقالَ سكاربيا متعجرفاً:

- «وأخيراً بدأوا. ألديكِ أيُّ فكرَةٍ عن سبَبِ قرعِ الطبول؟ يُعلِنُ ذلك إعدامَ المجرِم. بعدَ ساعَةٍ من الآنَ، لن يعودَ كافارادوسّي في هذا العالم. هاهاها!».

في هذه الأثناء، عادَ الجنديُّ الذي أُرسِلَ بحثاً عن أنجيلوتّي وقدَّمَ تقريرَهُ:

- «أنجيلوتّي قتَلَ نفسَهُ ما إن أُلقِيَ القبضُ عليه. ونحنُ جاهزونَ لإعدامِ كافارادوسّي».

ما إن سمعَتْ توسكا الخَبَرَ، حتّى سقطت على الأريكَةِ وتَمتَمتْ لنفسِها:

- «حسناً سأفعَلُ ما تريدُه. ولكن، أرجوكَ أطلقْ سراحَه».

- «جيّد، يجبُ أن يراهُ الناسُ ميتاً، سأتَدبَّرُ الأمر».

- «كيف سأثِق بك؟».

فأعطى سكاربيا أمراً إلى جنوده:

- «أطلقوا النارَ على كافارادوسّي مستخدمين الرصاصَ الزائف. لا أريدُكم أن ترتَكِبوا الأخطاءَ كما فعلتم قبلاً. أتفهَموني؟».

وغَمزَ سكاربيا الجنديَّ الذي أومأ برأسِه إيجاباً وتَرَكَ الغرفَةَ مباشرَةً. فعادَ سكاربيا إلى توسكا مبتسماً بطريقَةٍ شرّيرَةٍ:

- «أمسرورةٌ أنتِ الآنَ توسكا؟».





ودفعته مجدّداً بعيداً وقالَتْ:

ـ «لا، هذا ليسَ كافياً. ثمّةَ أمرٌ بعد. أرجوك اكتُب لي تصريحَ عبورٍ لأتمكَّنَ وكافارادوسّي من المغادَرةِ بأمانٍ».

عضَّ سكاربيا شفَّتَهُ، وتوجَّهَ ليكتُبَ التصريح. وبينما كان يكتُبُه، رأتْ توسكا سكّيناً على المكتَبِ. فالتَقَطَتْهُ وانتظَرَتْ عودَتَه. وفي اللحظَةِ التي تقدّم فيها ليعانقها، طعنَتْهُ بكُلٍّ ما فيها من قوّة. فصرخ سكاربيا ووقَعَ أرضاً مدمّى.

ـ «كيفَ تجرؤين... توسكا...»؟.

حاوَلَ سكاربيا المتألِّمُ أن ينهَضَ، لكِنَّ تنفّسه أخذَ يتباطأ.

ـ «الوداع أيُّها الشرّيرُ. الوداع».

راقَبَتهُ توسكا وهو يموتُ بصمتٍ. وعندما توقَّفَ عن التنفُّسِ أخيراً، أخذَت التصريحَ من يدِهِ وخرَجَتْ مسرِعَةً من الغرفَة.



في هذه الأثناءِ، كان الجنودُ يقودونَ كافارادوسّي السّجينَ إلى سطحِ القصر.

ـ «آه، ما زالَ عددٌ من النجوم يلمَعُ في السّماءِ وحتّى في الصباحِ الباكِرِ، لم ألاحظ ذلك من قبل...».

وعندما أدرَكَ كافارادوسّي أنّ ساعَتَهُ الأخيرة اقتربَتْ، شعرَ فجأةً أنّ كلَّ شيءٍ في العالَم جميلٌ وثمينٌ.

النجومُ المتلألئةُ كلّها في السماءِ والأوراقُ المرتجِفةُ مع كلِّ نسيمٍ وصوتُ جرَسِ كنيسةٍ بعيدةٍ خافتٌ... ومن كثرة ما فكّر في أنّه لن يرى تلك الأشياءَ مجدداً حزن كثيراً وسألَ حارسَ السجنِ:

ـ «يا صاحبي، أيمكنُكَ أن تؤدّيَ لي خدمةً أخيرةً؟».

ـ «خدمةٌ؟ قُل لي ما هي وإن لم تكُن صعبةً، سأحقّقُها لك».

ـ «أريد قبلَ أن أموتَ، أن اكتُبَ رسالةً إلى حبيبتي».

سمحَ له الحارسُ من دون تردُّد بذلكَ وفي المقابِل أعطاه كافارادوسّي خاتماً ليشكُرَه. بدأ يكتُبُ الرسالةَ مستذكراً الأيّامَ التي أمضاها مع توسكا. ولكنْ، جُلُّ ما كَتَبَهُ كانَ بِضعَ جُمَلٍ لأنّه بدأ يبكي بعدما غمَرَهُ الحزنُ الشديد:

ـ «آه، توسكا، يا حبّي».



وفجأةً، ظهَرَتْ توسكا برفقةِ جنديٍّ، فلم يصدِّق كافارادوسّي عينيه. ولمّا صارا بمفردِهما، أمسَكَتْ توسكا بيديه وقالَت له:

ـ «أنتَ حرٌّ الآن، أُنظر إلى تصريح المرور هذا».

فنظَرَ كافارادوسّي إلى الورقةِ غيرَ مصدِّقٍ ما يراه:

ـ «ماذا حدث؟ أهي هديَّةٌ من سكاربيا؟».

فأجابتهُ من دون انفعالٍ:

ـ «نعم، وفي الحقيقة، هذه هديّتُه الأخيرة».

ولمّا رأتْه صامتاً أكملَتْ بسرعَة:

ـ «أرادَ حبّي مقابلَ حرّيَتِكَ، توسّلتُ إليه وحاولتُ إقناعَهُ بأنّه لا يمكنني فعلَ ذلكَ لكنَّه تجاهلَ الأمر. لذا ادّعيتُ بقبولِ عرضِهِ وطلبتُ منه كتابةَ تصريحٍ للمرور. وبعدَ أن كَتَبَهُ، حاوَلَ أن يعانِقَني فطعنتُهُ بسكّينٍ في صدرِه».

تأثَّرَ كافارادوسّي جداً فأخذَ يديها ووضعَهُما على خدِّه. إذ إنّ تلكَ اليدينِ اللتين اعتنتا بالورد وداعَبَتا الأطفالَ وصلّتا من أجلِ المجرمينَ، تلك اليدان نفسهما أنقذتا حياتَهُ، فأدرك كم أنّ يدي ـ توسكا غاليتان على قلبِه.

ـ «توسكا أنتِ أغلى ما وهبني الله».

فنصحَتْ توسكا كافارادوسّي قائلةً:

ـ «لم يعُد لدينا الكثيرُ من الوقت، لقد حضّرتُ بعضَ الذهبِ والمجوهرات وعربَةً لنهرُبَ بها. عليكَ أن تدّعي أنّكَ أُعدمتَ فعلاً. لذا ستَقَعُ على الأرض بعد الطلقَةِ الأولى مدّعياً الموت. وحينَ يرحَلُ الجميعُ، سأذهَبُ إليكَ ونرحَلُ معاً ونعيشُ بحرّيةٍ وسعادةٍ للأبد».

كانَت توسكا متحمِّسَةً إذ كلُّ شيءٍ يجري على خيرِ ما يرامُ فأخذَتْ تعيدُ أقوالَها وهي تُمسِكُ بيديْ كافارادوسّي وتنظُرُ إليه بحبّ:

ـ «تذكّر يجبُ أن تقَع حالما تسمَعُ الطلقةَ الأولى. لا يجدُرُ بأحدٍ أن يشُكَّ بعمليّةِ الإعدامِ هذه».

ـ «حسناً سأفعلُ ذلك».

ـ «لا تقفْ قبلَ أن أُناديك».

كانت توسكا قلِقَةً جداً فأعادَتْ كلامَها مراراً وتكراراً، ما أفرَحَ كافارادوسّي.



وبعد ذلكَ مباشرةً، دخَلَ الجنودُ وتحَضَّروا لعمليّةِ الإعدام:

ـ «جهِّزْ سلاحَك».

وتلى ذلك عِدّةُ طلقاتٍ نارية.

«بانغ! بانغ! بانغ!».

وَقَعَ كافارادوسّي مباشرةً بعد الطّلقِ الناريّ الأوّلِ. لكنّ توسكا كَانَت تُراقبُ العمليّةَ بهدوءٍ، وعندما رحَلَ الجنودُ بعد انتهاءِ الإعدامِ، رَكضَت توسكا نحو كافارادوسّي وادّعتْ أنّها حزينةٌ جداً لكنّها هَمَستْ له بشكلٍ خافتٍ:

ـ «لا تتحرّكِ الآن، ليسَ بعد، قُم لاحِقاً».

وبعد فترةٍ، أيقَظَتْ توسكا كافارادوسّي بعدَ تأكُّدِها من رحيلِ الجنود:

ـ «هيّا، استيقظ الآن، لا يوجد أحدٌ هنا. فلنذهَب».

ولكنْ، مهما فَعَلَتْ، لم تستطِع إيقاظَ كافارادوسّي. لأنها رَأَتْ دماً أَحمرَ يتدفّقُ مِنْ صدرِه. عندئذ، أدركتْ أنّ الرصاصَ كان حقيقياً وأنّ كافارادوسّي قُتِلَ فعلاً بالرصاص. فتَذكّرتْ غَمزَةَ سكاربيا الغامِضَةَ إلى الجنديّ، وعَرَفَتْ أنّهُ أمْرُ إعدامٍ حقيقيّ ولم يكن خِدعةً. شَعَرَتْ توسكا بالضّياعِ، وصَرَخَتْ باسمِ حبيبها بصوتٍ عالٍ:

ـ «لا، كافارادوسّي! لا تَتْركْني».

ثمّ سمِعَتْ صوتَ أشخاصٍ آتينَ لاعتقالِها، فلقد وجدوا سكاربيا ميتاً:

ـ «إقبِضوا على المجرمة توسكا! أقفلوا الأبواب!».





بدا صوتُ الجنودِ كالجوقَةِ، فنظَرَتْ إليهم يقترِبونَ منها، وقالَت في نفسِها:

ـ «انتهى كلُّ شيءٍ».

تطلَّعَتْ توسكا نحو السماءِ ورَمَتْ بنفسَها على الأرضِ وهي تصرُخ:

ـ «أيها الشيطانُ سكاربيا! سنلتقي أمامَ اللهِ!».

أمّا الجنودُ الذينَ وصلوا متأخِّرين، فما كانَ عليهم سوى أن ينظُروا إلى أسفَلِ حائطِ القصر.



نبذة عن المؤلّف

جاكومو بوتشيني (1858~1924)

ولِدَ بوتشيني في عائلةٍ موسيقيّةٍ تقليديّةٍ في لوكا في إيطاليا. لذا، كان من الطبيعيّ بالنسبةِ إليه أن يبدأ بمهنَتِهِ الموسيقيَّة. بعدَ أن شاهَدَ عايده لـ فردي، قرّرَ تأليفَ الأوبرات. فالتَحَقَ بالمعهد الموسيقي في ميلانو حيث درَسَ التأليفَ الموسيقيّ. كتَبَ أربَعاً وعشرينَ أوبرا فقط في حياتِهِ كلِّها، لكنّ كلّ واحدَةٍ منها كانت تُحفةً بحدِّ ذاتها.

أصبَحَتْ أوبراته الثلاثُ الأكثرَ شهرةً: توسكا، الغجرية، مادام فراشة من القطَعِ المفروضة على مسارحِ الأوبرا في العالَم. ويعودُ سببُ الترحيب بأوبرات بوتشيني، إلى أنّ موسيقاهُ الفريدةُ تُعبِّرُ عن مشاعرَ إنسانيّةٍ مشتركة.

وكتبَ توسكا بعدَ أن لاقَتْ الغجريّة نجاحاً. تأثَّرَ بأداء فكتوريان ساردو الدرامي، ولويجي أيليكا الذي كتب نصَّ المسرَحيَّة لجوزيف جياكوزا.

عندَما عُرضت توسكا للمرّة الأولى عام 1900، عُرِفَتْ بأنّها إحدى المسرحيّات الأكثر ظلماً ومأسويةً بسبب موتِ الشخصيّاتِ الثلاثِ الأساسيّة. وعلى الرغم من موضوع توسكا المأسويّ، فهي تتمَّتَعُ بأنغام موسيقيّةٍ غنائيّةٍ رائعة، ما أضفى عليها طابعَ الجديّة. و لتوسكا عددٌ من الألحانِ الإنفراديّةِ الجميلةِ مثل: ريكونديتا أرمونيا وإيلوسيفان لي ستيلّي لـ كاڤارادوسّي وڤيسّي دارتي، ڤيسّي داموري لـ توسكا.

أمّا أعمالُ بوتشيني الأخرى، فهي: أوبرا جيانّي سشيتشي وتوراندوت وأنشودة أي فيجيل ديتاليا بيلاً و بريلوديو للأوركسترا وغيرها.




نبذة عن الرسّام

كيم، جين هوا

تخَصَّصتْ جين هوا كيم بالرسمِ وهي تعمَلُ لدى كيوون كمديرَةٍ فنّية. تبحَثُ كيم عن التنوّع في الموادِ والتقنيّات، وقد نجحَتْ في هذا الكتابِ بنقلِ صورٍ غنيّةٍ باستعمالِ قماشٍ مزخرَفٍ وألوانٍ فريدة. وليس الفن التصويري سوى تقنيّةٍ فنّيةٍ تعكسُ الخيارَ الآنيّ والإرتجاليّ معاً. وركّزَت باستعمالِها هذه الطريقة على أن تعكسَ تدفّق الموسيقى في الأوبرا. تتمتّعُ توسكا بمواصفاتٍ نفسيّة، مقارنةً مع غيرها من الشخصيّات.

ولإبراز تلك المواصفات، استعملتْ التقنيّات الفريدةَ للفنّ التصويريّ التي تُظهرُ حركاتِ الشخصيّات وأعمالاً مُخْتَلفة تَحْدثُ في أماكن مختلفة، بدلاً مِنْ وَصْف مشهدٍ واحد لا غير محدّدٍ بمدّةٍ زمنيَّة. لذلك، رتّبتْ صوراً مُخْتَلفةً للحالةِ لتتغلّبَ على التركيبِ المنظورِ أو الواقعيّ. تبدو بَعْض الصورِ غيرَ متناسِبة، لَكنَّها متناسقةٌ تماماً وهنا تكمُنُ جاذبيةُ الفن التصويريّ.





سلسلة الأوپرا والمسرح العالمي

1. عايدة
2. كارمن
3. توسكا
4. فيديليو
5. لوهنغرين
6. بحيرة البجع
7. دون جيوڤاني
8. السيدة فراشة



المعارف العامة
الفلسفة وعلم النفس
الديانات
العلوم الاجتماعية
اللغات
العلوم الطبيعية والدقيقة / التطبيقية
الفنون والألعاب الرياضية
الأدب
التاريخ والجغرافيا وكتب السيرة

دار المؤلف
Dar Al-Moualef
للنشر والطباعة والتوزيع ش م م
for Publishing, Printing and Distribution s.a.r.l

كلمة
KALIMA

معالم
maalem
للطباعة، النشر والتوزيع ذ م م
for Printing, Publishing and Distribution L L C



توسكا
قميص أول